

المُتَقِفَاتُ الْمُتَحَدَاتُ الْكَامِلَاتُ



الشيخ عبداللطيف الشبيب قس

(١٤٢٢ / ١٣٨٤ هـ)

المثقف والمُتَمَرِّضُ الكَلِمَةُ

تقديم سماحة آية الله السيد هادي المدرسي

شبكة مزن الثقافية

www.mozn.net



الطبعة الأولى

١٤٣٠هـ / ٢٠٠٩م

هوية الكتاب:

* الكتاب: المثقف وأمانة الكلمة.

* المؤلف: الشيخ عبداللطيف الشبيب مؤلف.

* الطبعة: الأولى، ١٤٣٠هـ / ٢٠٠٩م.

* الناشر: شبكة مزن الثقافية www.mozn.net

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
﴿وَالْعَصْرِ * إِنَّ الْإِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ * إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا
وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ﴾



المحتويات

٩.....	تقديم
١٣.....	مقدمة
٢٠.....	المرحلة الأولى: أمانة التلقي
٢٥ ..	المرحلة الثانية: أمانة البحث والاستنباط
٢٩ ...	المرحلة الثالثة: أمانة النشر وإبداء الرأي
٣٢	وفي الختام:



تقديم

سماحة آية الله السيد هادي المدرسي

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله ربّ العالمين، والصلاة على سيّد
المرسلين، محمّد وعلى أهل بيته الطيبين الطاهرين.
وبعد..

الكلمات وعاء الرؤى.
والرؤى مصابيح لاكتشاف الطريق.
واكتشاف الطريق مقدمة لأداء أمانة
الكلمات.

هذه هي الدائرة المغلقة التي يجب أن ينطلق
منها المثقفون الذين تقع عليهم مسؤولية تنوير
الأمّة، وإرشاد الناس، وتبيين الحقائق.

الشيخ عبداللطيف الشيب

والسؤال هنا هو: من أين يجب أن نبدأ؟.

وإلى أين لابد أن ننتهي؟.

وما هي الوسائل؟.

إنّ هذا الكتيب الصغير بحجمه، والكبير في مهمته، يتكفل بالإجابة على هذه الأسئلة المهمة، إذ من دون أن نعرف من أين نبدأ؟ لن نحسن اختيار الطريق.

ومن دون أن نعرف إلى أين ننتهي، لن نعرف ميناء الوصول.

ومن غير معرفة الوسائل قد نضيع في منتصف الطريق، ونسقط في متاهات لا نهاية لها.

وتأتي أهمية هذا الكتيب أيضاً من أنه تأليف رجل عُرف بعلمه الديني، وإخلاصه الروحي، وفهمه للظروف، كما عُرف بتحمّله لمسؤولياته الاجتماعية والفكرية.

فقد كان نموذجاً للفقيه العامل، والمثقف الملتزم، والمبلغ المخلص، والداعية الصادق.

فالشيخ عبد اللطيف الشيب قدس سره كان

المثقف وأمانة الكلمة

من السَّابِّقين في استنباط الرؤى من مصادرها الصحيحة، فلم يشط عن خط الأنبياء والأوصياء عليهم السلام، كما كان يشتغل بتزكية النفس، فجاء التزامه واضحاً في اتساق سلوكه مع واقعه العملي. وبذلك فقد سبق الآخرين فيما يدعو إليه في كتابه هذا، وقد أعاده الله تعالى بسبب ذلك، مما ابتلي به بعض المثقفين من الانحراف عن الجادة، والانسلاخ عن الأصالة، والسقوط في مستنقع الضلال، تحت عناوين لا تسمن ولا تغني من جوع، لا في الدنيا، ولا يوم يقوم الناس لرب العالمين.

فرحم الله «أبا علي» برحمته الواسعة، وحشره مع ساداته الذين تولاهم في حياته، واتبعهم في أعماله، ودعا إليهم في أقواله.

إنه سميع مجيب.

هادي المدرسي

ربيع الآخر

١٤٣٠هـ / ٢٠٠٩م



مقدمة

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ وَآلِهِ الطَّاهِرِينَ

وبعد: فإن هذه الوريقات التي بين يديك هي عبارة عن ملخص لندوة حضرها لفيف من أهل العلم والفكر والثقافة، وقد ارتأى بعض المؤمنين نشرها لتعميم الفائدة، فقاموا بتنظيمها ونشرها فجاءت بضاعة مزجاة، نشكر لهم اهتمامهم ونقدر جهودهم، سائلين المولى جل وعلا، أن يجعلها في ميزان حسناتهم، وأن يعم بنفعها المؤمنين، وهو من وراء القصد.

وَأَخِرُ دَعْوَانَا أَنْ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ.

الأقل: عبد اللطيف الشبيب

٥/ ذو القعدة / ١٤٢١ هـ



عادةً ما يُتَّهم الحركيون الإسلاميون - بل المهتمون إجمالاً بالشأن الديني - بأنهم أصحاب فكر (تأمري)، لا بمعنى أنهم يتآمرون على غيرهم (الآخر) لأنهم أضعف من ذلك!! بل بمعنى أنهم - في الغالب - يُعلِّقون أخطاءهم على غيرهم، ويبررون فشلهم بسبب تأمر (الآخر) عليهم، حتى جعلوا من هذا (الآخر) أخطبوطاً يمدّ أذرعته وشبأكه في كل اتجاه، ويرصد عليهم حركاتهم، ويحيك المؤامرة تلو الأخرى لإفشال مساعيهم ووأد مخططاتهم حتى لو استدعى الأمر اختراق (الآخر) لصفوفهم.

وينبري من يصفون أنفسهم بـ (الليبراليين) تارة أو (العلمانيين) تارة أخرى ليدعوا أصحاب هذا التوجه الإسلامي إلى مراجعة الذات ونقد الواقع

الشيخ عبداللطيف الشيب

الذي يمارسونه، وبالتالي الاعتراف بأخطائهم بدل أن يعلقوها على شناعة الغير عجزاً وتبريراً!!.

وإذا كان هذا الاتِّهام في مجمله صحيحاً، بمعنى أن على الحركيين الدينيين أن ينتقدوا ذواتهم قبل نقد الآخر، وألا يضحّموا من واقع التآمر عند الآخر؛ فإنه من الصحيح أيضاً أن يتوقف دعاة (الليبرالية) و(العلمانية) و(الواقعية) عند فكر (الآخر) ويقرّؤونه جيداً ولا يعطوا بالتالي أحكاماً قاطعة وحاسمة وكاسحة؛ تنفي أن يكون للآخر أي دور تأمري على هذه الأمة بكافة شرائحها وتوجهاتها، وخصوصاً الحركة الدينية. فإذا كان الإسلاميون متهمين بنوع من الإفراط وتضخيم دور (الآخر) فإن مقابلهم متهم بالتفريط وتهميش دور الآخر، وجعله متفرجاً سلبياً على ما يجري في الساحة الدولية والشرقية والإسلامية على وجه الخصوص.

علينا -جميعاً- أن نبتعد عن الشعارات الفضفاضة والأحكام العامة، ودراسة المفردات بنوع من التجزئة التي تُعطي لكل مفردة حكمها الخاص، دون نفي الترابط بين تلك المفردات.

المثقف وأمانة الكلمة

صدرت في أوقات قريبة - خلال الأشهر القليلة الماضية - مجموعة من الكتب والأبحاث والدراسات التي تتحدث عن الخطر (الأخضر) الذي يواجه الغرب، بعد أن تخلص الغرب من بقايا الحرب الباردة مع الخطر (الأحمر). ويقصدون بالأخير المد الشيوعي كما يقصدون بالأول (المد الإسلامي).

ولا يستطيع أحد أن ينكر الدور الذي لعبته الدول الغربية خصوصاً محور أمريكا - بريطانيا، في سنوات الحرب الباردة، الذي أدّى عبر مخططات مدروس ومهندس إلى وقوع الاتحاد السوفيتي في الشرك الأفغاني الذي شكّل نهايته ونهاية المد الشيوعي في العالم بأسره.

وبعدها أخذ الغرب يُبشر بالنظام العالمي الجديد، أحادي القطب، أحادي الثقافة، أحادي الاقتصاد، أحادي الهيمنة. وهو باختصار هيمنة الشمال على الجنوب سياسياً واقتصادياً وفكرياً. وبدأت تظهر على السطح مصطلحات برّاقة أخذت بألباب الكثير من المفكرين والمثقفين، فصارت كلمات كـ (النظام العالمي الجديد) و (القرية

الشيخ عبداللطيف الشيب

الواحدة) و(العولمة) مجموعة مفردات تفرع أسماع كل أحد، ويطالعهها كل فرد في كل زاوية من جريدة أو مجلة أو أي وسيلة إعلامية أخرى.

وتنادت أصوات كثير من مثقفي العالم العربي تدعو الأمة إلى اللحاق (بقطار العولمة) الذي أصبح قدراً لا مفر منه، قضاءً مبرماً لا رادّ له. ولكنهم مع الأسف الشديد خلطوا - في دعواتهم - كثيراً من المفاهيم، فلم تعد العولمة إلا مجموعة التقنيات والتطورات المدنية الحديثة التي لا يمكن الاستغناء عنها، وكأنهم يريدون بذلك تضليل القارئ العربي، والتدليس عليه خلافاً لأمانة الكلمة التي تشكل أبجدية الثقافة عند كل مثقف ملتزم.

إن التزام كل مثقف - أيّاً كان توجهه - وأمانته يحتم عليه أن يضع بين يدي القارئ القضية التي نحن بصدددها - أعني (العولمة) - بكافة أبعادها، ويحللها تحليلاً موضوعياً يجلو الغبار عن بريقها الأخاذ، ويوصل العامة إلى لب الموضوع وجوهر القضية، حتى يكون الجميع على بصيرة من أمره في تعاطيه مع هذه المفردة.

ونحن هنا - بهذه المناسبة - لا نريد الخوض

المثقف وأمانة الكلمة

في تفاصيل هذه القضية وأبعادها المختلفة، بل نريد أن ننطلق من هذا الحدث لتحدث من الجذر الأهم في الموضوع وهو (أمانة الكلمة) و (التزام المثقف)؛ الذي يُعتبر أساساً لهذه القضية وغيرها، ولعلنا نُوفّق للحديث عن موضوع (العولمة) وخصوصاً في بعدها الأخطر، وهو البعد الفكري والثقافي، في فرصة أخرى.

نتحدث -هنا- عن موضوع الأمانة لأن كثيراً من الأبحاث و الدعوات -التي نادت ولا تزال تنادي بالنظام العالمي الجديد وتدعو للعولمة- نراها لم تلتزم خط الأمانة الثقافية كما سلف بيانه.

والحديث عن أمانة الكلمة حديث مهم وخطير لا تستوعبه بضعة أسطر أو مجموعة أوراق، ولكننا نحاول المرور على المفاصل الرئيسة لهذا الموضوع، ونترك التفاصيل إلى مناسبات ومحاضرات أخرى.

حين نتحدث عن أمانة الكلمة ينبغي أن نتحدث عنها ضمن محاور ثلاثة، ومراحل يسبق بعضها الآخر، ولا يعني السبق إلا التقدم الرتبي

الشيخ عبداللطيف الشيب

دون تقدم الأهم على المهم:

المرحلة الأولى: أمانة التلقي

وهي المرحلة الأولى التي تُصادف المثقف أو الكاتب الذي يريد أن يطرق موضوعاً أو يبحث عن قضية. ونعني بأمانة التلقي:

١- أن يكون الباحث أميناً في انتقاء مصادر ثقافته و علمه وموضوع بحثه؛ إذ إن مصدر المعلومة وجهة المعرفة تُشكّل الحجر الأساس في عملية البحث، وقد حذرنا الله تعالى أن يكون غير الأمين مصدراً من مصادر المعلومة أو المعرفة ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِن جَاءَكَ فَاسِقٌ بِنَبَأٍ فَتَبَيَّنُوا أَن تُصِيبُوا قَوْمًا بِجَهَالَةٍ فَتُصْحِرُوا عَلَى مَا فَعَلْتُمْ نَادِمِينَ﴾^(١).

فكم من بحث فقد أمانته العلمية لأنه اعتمد على بعض النقول المبعثرة والمصادر المشوهة للحقائق بُنيت عليها كثير من الآراء، وصدرت على أساسها كثير من الأحكام. ونحن مأمورون بأن نجعل ﴿أَهْلَ الذِّكْرِ﴾ مصدراً للمعرفة والمعلومة لأنهم الأمناء في نقل المعرفة والفكرة

(١) سورة الحجرات، آية: ٦.

المثقف وأمانة الكلمة

﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ إِلَّا رِجَالًا نُوحِيَ إِلَيْهِمْ فَسَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ (٤٣) بِالْبَيِّنَاتِ وَالزُّبُرِ وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَنْفَكُّوْنَ﴾ (١)، وحين كان النبي ﷺ بين ظهرائي هذه الأمة كان هو مصدر المعرفة حصراً بلحاظ اتصاله ﷺ بمصدر الوحي الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه ﴿وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ﴾ (٢) إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ﴾ (٣).

وترى القرآن الكريم يُوبِّخ بعض المسلمين حين راحوا يتعرفون من تلقاء أنفسهم ويبنون المواقف دون مراجعة المصدر الأصيل ﴿وَإِذَا جَاءَهُمْ أَمْرٌ مِنَ الْأَمْنِ أَوِ الْخَوْفِ أَذَاعُوا بِهِ وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى الرَّسُولِ وَإِلَى أُولِي الْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنْبِطُونَهُ مِنْهُمْ وَلَوْ لَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ لَاتَّبَعْتُمُ الشَّيْطَانَ إِلَّا قَلِيلًا﴾ (٣).

وقد وجهنا القرآن الكريم قائلاً: ﴿وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا وَاتَّقُوا

(١) سورة النحل، آية: ٤٤.

(٢) سورة النجم، آية: ٤.

(٣) سورة النساء، آية: ٨٣.

الشيخ عبداللطيف الشيب

الله إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴿١﴾.

وحين رحل رسول الله ﷺ عن هذه الأمة جعل من بعده نبراسين أساسين، جعلهما مستمسك الهدى وطريق النجاة والبعد عن الضلالة حين قال - في الحديث الذي رواه الفريقان - : « إِنِّي مُخَلَّفٌ فِيكُمْ الثَّقَلَيْنِ: كِتَابَ اللَّهِ وَعِزَّتِي أَهْلَ بَيْتِي، وَإِنَّهُمَا لَنْ يَفْتَرَقَا حَتَّى يَرْدَا عَلَيَّ الْحَوْضَ، أَنْظَرُوا كَيْفَ تَخْلُفُونِي فِيهِمَا أَيُّهَا النَّاسُ.. » (٢).

وبقي الثقلان، القرآن والعتره، حاضرين في وجود الأمة ووجدانها، وهما لا يزالان يشكلان المصدر الأساس للمعرفة، بالإضافة إلى ورثة الأنبياء ونعني بهم العلماء الربانيون الذين يستقون معارفهم من هذين المصدرين.

فإذا ما التجأ الباحث - في أي قضية من القضايا - إلى مصدر آخر يستقي منه الرأي الشرعي فقد جانب الصواب إلا أن يكون الباحث أهلاً للرجوع المباشر إلى مصادر التشريع. نعم تبقى مصادر التشريع الأساسية الإطار الذي تبنى عليه المعارف،

(١) سورة الحشر، آية: ٧.

(٢) وسائل الشيعة (آل البيت): ج ٢٧، ص ١٨٨.

المثقف وأمانة الكلمة

ولكن الموضوعات والمفردات تُستقى من واقع الناس
ومن تطور الحياة وآراء أهل الخبرة الثقة.

٢- يقول الله تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي
الْأُمَمِ رُسُلًا مِنْهُمْ يَتْلُوا عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ
وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ
مُبِينٍ﴾^(١).

فجعل عملية التزكية مقدمة على عملية
التعليم، وهذا يعني أن على الباحث أن يجعل
من ذاته ونفسه أرضاً زاكية وصفحة نقية لكي
تشرق عليها المعارف الحقّة؛ فإن الحكمة والعلم
بيد الله يهبهما لمن يشاء ﴿يُؤْتِي الْحِكْمَةَ مَنْ يَشَاءُ
وَمَنْ يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا وَمَا
يَذَكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ﴾^(٢).

وقد ورد في أحاديث أهل البيت عليهم السلام:
«لَيْسَ الْعِلْمُ بِكَثْرَةِ التَّعَلُّمِ وَإِنَّمَا هُوَ نُورٌ يَقْدِفُهُ اللَّهُ
تَعَالَى فِي قَلْبٍ مَنْ يُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يَهْدِيَهُ»^(٣).

نعم إن النفس الطاهرة، والقلب الزاكي،

(١) سورة الجمعة، آية: ٢

(٢) سورة البقرة، آية: ٢٦٩.

(٣) منية المريد: ص ١٦٧.

الشيخ عبداللطيف الشيب

يشكلان الأرض الطيبة التي تستقبل أمطار الرحمة الإلهية والمعارف الربانية، فأن يكون الباحث على اطلاع على كثير من المعلومات والمفردات المعرفية شيء، وأن يكون حكيماً تتفجر الحكمة والمعرفة المحقة من جوانبه شيء آخر، وهو المطلوب في عملية البناء الفكري والتنمية الثقافية.

٣- بعد أن يؤسس الباحث أصوله على مصادر التشريع الأساسية ويزكي ذاته، ينبغي له أن يعايش عصره، وينفتح على مجمل الثقافات والأفكار التي تطرح في عصره، وإلا فإن علومه لن تجد لها مجالاً في الحياة المعاصرة.

إننا نراجع مصادر التشريع لكي نعطي للأمة الموقف الشرعي والرؤية الدينية - حسب فهمنا واجتهادنا - من الثقافات والأفكار التي يطرحها الآخر وتتداولها وسائل الإعلام التي أصبحت تغزو كل بيت وتصل إلى كل أحد.

مطلوب من الباحث الملتزم أن يفتح عقله وقبل ذلك صدره ليسمع ما لدى الآخر ﴿فَبَشِّرْ عِبَادِ الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ أُولَئِكَ

المثقف وأمانة الكلمة

الَّذِينَ هَدَاهُمْ اللَّهُ وَأُولَئِكَ هُمْ أُوْلُوا الْأَلْبَابِ ﴿١﴾.

أما أن يعتقد الباحث أو المثقف أنه (الحق المطلق) والصواب الذي لا يحتمل الخطأ، ويضيق صدره بالرأي الذي لا يتوافق مع رؤيته فهذا يعني:

أولاً: غروراً بالذات.

ثانياً: ضعفاً في الحجة.

ثالثاً: عجزاً من المواجهة.

نعم هذا لا يعني أن يتفرغ الباحث ليشغل نفسه وذهنه بكل ناعق ينشق وبكل تفاهة تكتب متصدياً وناقداً. لكنه ينبغي أن يكون على اطلاع كامل على مجريات الأمور ومحدثات الأفكار. ولا ننسى أن: «الْعَالَمُ بِزَمَانِهِ لَا تَهْجُمُ عَلَيْهِ اللَّوَابِسُ»^(٢).

المرحلة الثانية: أمانة البحث والاستنباط

وهي المرحلة التي تلي مرحلة التلقي فبعد أن يتلقى الباحث معلوماته وأفكاره حسب ما أصّلناه

(١) سورة الزمر، آية: ١٨.

(٢) أصول الكافي: ج ١، ص ٢٦.

الشيخ عبداللطيف الشيب

سابقاً؛ عليه أن يدرك أن مرحلة البحث واستنباط الفكرة لا تقل خطورة من ناحية الأمانة عن سابقتها، إذ قد يكون الباحث أميناً في انتقاء مصادر المعرفة ولكن قد تخونه الأمانة في بلورة الرأي واستنباط الفكرة، وهنا نلاحظ الأمور التالية:

١- أن يتجرد الباحث في الموضوعة التي هو بصددتها عن رؤاه السابقة وأحكامه المسبقة، ذلك أن كثيراً من الباحثين تتكون في أذهانهم أفكار جاهزة ورؤى مسبقة، وفي مرحلة البحث يحاولون إيجاد الدليل الذي يسوقهم إلى الفكرة ذاتها، وإن لم يجدوه لووا عنق النص لكي يتسق مع فكرتهم السابقة، فهم في واقع الأمر لا يبحثون عن الفكرة الصحيحة والرأي السليم، بل يبحثون عن الدليل الذي يساعد على تدعيم فكرتهم وتقوية رأيهم، خصوصاً وأن بعض النصوص تحمل كثيراً من التأويل.

٢- امتلاك الأدوات المعرفية اللازمة والمناسبة لكل بحث، وذلك أن كل موضوع معرفي له أدواته وله آلياته، ولا يستطيع الباحث، مهما أوتي من ذكاء وقاد وقدرة نافذة، أن يصل إلى

المثقف وأمانة الكلمة

معرفة صحيحة في أي موضوع لا يمتلك أدواته امتلاكاً صحيحاً. ولعل كثيراً من الكتاب الذين حاولوا الخوض في استنباط بعض الموضوعات الدينية دون امتلاك أدوات الاستنباط وصلوا إلى نتائج مغلوطة جهلاً منهم بتركهم الأدوات، وحين يُعترض على استنتاجاتهم، ويُقال لهم: إن عليهم أولاً أن يدرسوا أدوات هذا العلم الخاص؛ أجابوك بأن الدين عام لكل أحد وليس حكراً على علماء الدين. وكأن كل العلوم والمعارف لها مختصون لا يحق لغيرهم الخوض فيها، كما لا يحق لهم أن يستنبطوا منها أحكاماً دون التخصص فيها؛ إلا العلوم الدينية والثقافية الإسلامية. وهذا من المفارقات الغريبة.

إن القرآن الكريم يوجّه خطابه إلى الجميع ﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا﴾^(١).

ويقول -جل وعلا-: ﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ لَكُمْ مِنْ رِزْقٍ فَجَعَلْتُمْ مِنْهُ حَرَامًا وَحَلَلًا قُلْ

(١) سورة الإسراء، آية: ٣٦.

الشيخ عبداللطيف الشيب

ءَٱللَّهُ أَذِنَ لَكُمْ ۖ أَمْ عَلَى ٱللَّهِ تَفَتَرُونَ ﴿١﴾

إن المصدرين الأساسيين للتشريع القرآن والسنة يحويان المحكم والمتشابه والعام والخاص والمطلق والمقيد، فهل يستطيع كل أحد أن يتكئ على آية أو رواية ليستنبط منها ما يشاء من حكم أو فكر دون ضمها لبقية الآيات والروايات والقواعد المقررة: ﴿هُوَ ٱلَّذِى أُنزِلَ عَلَيْكَ ٱلْكِتَآبُ مِنْهُ ءَايَتٌ مُّحْكَمَتٌ هُنَّ أُمُّ ٱلْكِتَآبِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَةٌ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَبَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ ٱلْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِۦ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُۥ إِلَّا ٱللَّهُ ۗ وَٱلرَّاسِخُونَ فِي ٱلْعِلْمِ يَقُولُونَ ءَأَمَّنَا بِهِۦ كُلٌّ مِّنْ عِندِ رَبِّنَا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو ٱلْأَلْبَآبِ ﴿٢﴾

ولا بد من الإشارة هنا -فوق ما سبق- إلى خطأ منهجي يقع فيه كثير من الباحثين في إسقاط المناهج الواحدة على مختلف الموضوعات. ومن نافلة القول أن كل علم من العلوم يمتلك منهجه الخاص به، فلا تصح دراسته بمنهج لا يتسق معه، وإلا فإن النتيجة ستكون خاطئة بكل تأكيد.

إن المعرفة الدينية القائمة على مفردة كـ(الغيب

(١) سورة يونس، آية: ٥٩.

(٢) سورة آل عمران، آية: ٧.

المثقف وأمانة الكلمة

مثلاً)، التي تنبني عليها كثير من المعارف، لا يمكن أن تُدرس بمنهج مادي لا يعترف (بموضوعة الغيب) ولا يُقيم لها وزناً في مناهج البحث.

٣- إن مقتل بعض الباحثين سرعة الاستنباط والاستنتاج، والمفروض في البحث الموضوعي أن يأخذ مداه في التفكير وتقليب الرأي وطرح الإشكالات وافتراض النقد قبل إعلان النتائج، خصوصاً وأن إعلان النتائج يقطع في كثير من الأحيان خط الرجعة على الباحث، فلا يعود قادراً على التراجع عن الفكرة إذا تبين خطؤها، ولا يمتلك الشجاعة الكافية لإعلان خطأ استنتاجه السابق -إلا من عصم الله-. إن موضوع التريث يبقى موضوعاً مهماً وأساسياً خصوصاً في الموضوعات التي تُشكل مفصلاً من مفاصل الفكر والثقافة أو أصلاً من أصول العقائد.

المرحلة الثالثة: أمانة النشر وإبداء الرأي

وهي بدورها تتطلب أموراً أساسية:

١- الشجاعة في إبداء الرأي الحق إذا تأكد الباحث من حقيقة بحثه وصدق ما توصل إليه، خصوصاً تلك الحقائق التي لا تروق لذوي القوة أو عامة الناس بحيث يشكل إعلانها على الملأ

سباحة ضد التيار وخروجاً على المألوف، مما قد يكلف الباحث سمعته أو وظيفته أو حياته. وكم من الباحثين والعلماء من تعرضوا للإرهاب من أصحاب النفوذ، ونبذهم أقرب الناس إليهم وعاشوا معزولين عن الوسط الاجتماعي؟! وكم من عالم وباحث قدّم حياته قرباناً على مذهب الحقيقة والرأي الصادق؟!

﴿ إِنَّا أَنْزَلْنَا التَّوْرَةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ يَحْكُمُ بِهَا النَّبِيُّونَ الَّذِينَ أَسْلَمُوا لِلَّذِينَ هَادُوا وَالرَّبَّانِيُّونَ وَالْأَحْبَارُ بِمَا اسْتُحْفِظُوا مِنْ كِتَابِ اللَّهِ وَكَانُوا عَلَيْهِ شُهَدَاءَ فَلَا تَخْشَوُا النَّاسَ وَاخْشَوُا اللَّهَ لَا تَشْرَوْا بِآيَاتِي ثَمَنًا قَلِيلاً وَمَنْ لَمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ ﴾^(١).

٢- مراعاة الزمان والمكان في إبداء الرأي والجمهور بالحق ذلك أن دعوتنا للباحث تحمّل أمانة الكلمة لا تعني أن يتهور في إبداء رأيه دون مراعاة المحيط الاجتماعي الذي يعيشه أو الزمان الذي يحكمه، بل على الباحث أن يوازن بين الأمرين يُقدّم الأهم على المهم.

فها هم أنبياء الله ﷺ مأمورون بأن يكلموا

(١) سورة المائدة، آية: ٤٤.

المثقف وأمانة الكلمة

الناس على قدر عقولهم، وقد أرشدنا أئمة أهل البيت عليهم السلام إلى أنه ليس كل ما يُعلم يقال، وما كل ما يُقال قد جاء وقته، وما كل ما جاء وقته حضر أهله. وما هو أمير المؤمنين عليه السلام الذي لا تأخذه في الله لومة لائم ولا يخشى من الجهر بالحق مخاطب كميل بن زياد قائلاً: «هَاهُ إِنَّ هَاهُنَا - وَأَشَارَ بِيَدِهِ إِلَى صَدْرِهِ - لَعِلَّمَا لَوْ أَصَبْتُ لَهُ حَمَلَةً»^(١).

يقول الله تعالى مخاطباً نبيه الكريم: ﴿فَنَعَلَى اللَّهِ الْمَلِكُ الْحَقُّ وَلَا تَعْجَلْ بِالْقُرْآنِ مِنْ قَبْلِ أَنْ يُقْضَىٰ إِلَيْكَ وَحْيُهُ وَقُلْ رَبِّ زِدْنِي عِلْمًا﴾^(٢).

٣- عدم الخضوع للابتزازات إذ قد يتوصل الباحث والمثقف إلى الحق والرؤية الصحيحة، ولكنه - في نهاية المطاف - بشر تأخذ بخرافته أمور المعيشة وضنك العيش ومن ثم يجبر فكره واستنباطه لمصلحة القوى التي يمكن أن تُحسن من معيشتة وتجنبه ضيق الحال. وقد أعلنها الإمام الحسين عليه السلام قائلاً: «النَّاسُ عِبِيدُ الدُّنْيَا وَالدِّينُ لَعَقٌ عَلَى أَلْسِنَتِهِمْ يَحُوطُونَهُ مَا دَرَّتْ مَعَايِشُهُمْ فَإِذَا

(١) بحار الأنوار: ج ١، ص ١٨٧.

(٢) سورة طه، آية: ١٤٤.

الشيخ عبداللطيف الشيب

مُحْصُوا بِالْبَلَاءِ قَلَّ الدَّيَّانُونَ»^(١).

فكم هم الأشخاص الذين كانوا في معسكر
يزيد بن معاوية يحاربون الحسين عليه السلام وهم يعرفون
أحقية الإمام، ولكنها معادلة الدنيا وحب المال
والجاه تدفع بالإنسان إلى التخلي عن كل أفكاره،
بل تدعوه لأن يبيع دينه! ﴿فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ يَكْتُمُونَ
الْكُتُبَ بِأَيْدِيهِمْ ثُمَّ يَقُولُونَ هَذَا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ لِيَشْتَرُوا
بِهِ ثَمَنًا قَلِيلًا فَوَيْلٌ لَهُمْ مِمَّا كَتَبَتْ أَيْدِيهِمْ
وَوَيْلٌ لَهُمْ مِمَّا يَكْسِبُونَ﴾^(٢).

وفي الختام:

علينا أن نؤكد أنَّ القضية الأهم في موضوع
أمانة الكلمة والتزام المثقف هو اتِّساق سلوك
المثقف وواقعه العملي مع الثقافة والفكر اللذين
يدعو إليهما، وهذا هو حجر الزاوية في أمانة الثقافة
والتزام الكلمة، وإلا فإن كل النقاط السابقة لا تعدُّ
ذات جدوى إلا في هداية الآخرين نحو الحقيقة
ولكنها لن تُنجي الداعي والباحث:

- ﴿يَوْمَ لَا يَنْفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ﴾ ٨٨ إِلَّا مَنْ أَتَى اللَّهَ

(١) بحار الأنوار: ج ٤٤، ص ٣٨٢.

(٢) سورة البقرة، آية: ٧٩.

يَقْلِبُ سَلِيمٍ ﴿١﴾.

- ﴿ وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَاهُ بِهَا وَلَنُكِنِّهُ أَخْلَدَ
إِلَى الْأَرْضِ وَاتَّبَعَ هَوَاهُ فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ الْكَلْبِ إِنْ
تَحَمَّلَ عَلَيْهِ يَلْهَثْ أَوْ تَتْرَكَهُ يَلْهَثْ ذَلِكَ مَثَلُ
الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَبُوا بَيِّنَاتٍ فَأَقْصَصَ الْقَصَصَ لَعَلَّهُمْ
يَتَفَكَّرُونَ ﴾ ﴿٢﴾.

وَأَخِرُ دَعْوَانَا أَنْ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ.
وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ وَآلِهِ الطَّاهِرِينَ.

(١) سورة الشعراء، آية: ٨٨ / ٨٩.

(٢) سورة الأعراف، آية: ١٧٦.